ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى

تمهيد :

عندما ابتدأت لجنة المجمع للمصطلحات التاريخية والجغرافية تباشر عملها. اتجهت إلى البحث عن القواعد التى تقيم عليها وضع هذه المصطلحات. وقد وجدت اللجنة أن المؤرخين يستمدون المصطلحات التى يستخدمونها من العلوم والفنون الأخرى، أى ليس للتاريخ مصطلحات خاصة به. والخوارزمى، فى كتابه مفاتيح العلوم، دل اللجنة على ما يجب عليها أن تقوم به فى هذا الشأن. فطريقة الخوارزمى هى أن يستعرض الكتب التاريخية والجغرافية ويستخرج منها ما سماه الألفاظ التى يكثر ورودها فى تاريخ الروم أو فارس أو فى المغازى إلخ . . .

ونظراً للقيمة الكبيرة لهذا الكتاب فقد قامت اللجنة بضبط وشرح الألفاظ الاصطلاحية الواردة فيه وعرضته على المجلس لإقراره ووضعه تحت تصرف الباحثين. وقد قام بهذا البحث الأستاذ يحيى الخشاب عضو اللجنة.

رئيس اللجنة

محمد شفيق غربال

* نشرت هذه المصطلحات بإذن الأستاذ الجليل رئيس المجمع.

من كتاب « مفاتيح العلوم » للخوارزمى[1]

الباب الثانى

فى الكلام وهو سبعة فصول

الفصل الأول : فى مواضعات متكلمى الإسلام فيما بينهم .

الفصل الثانى : فى ذكر أرباب الآراء والمذاهب من أهل الإسلام .

الفصل الثالث : فى ذكر أصناف النصارى ومواضعاتهم .

الفصل الرابع : فى ذكر أصناف اليهود ومواضعاتهم .

الفصل الخامس: فى ذكر أرباب الملل والنحل .

الفصل السادس: فى ذكر عبدة الأوثان من العرب وأصنامهم .

الفصل السابع : فى وصف الأبواب التى يتكلم فيها المتكلمون من أصول الدين .

الفصل الأول

فى مواضعات متكلمى الإسلام

الشىء هو ما يجوز أن يُخبر عنه وتصح الدلالة عليه .

المعدوم هو ما يصح أن يقال فيه هل يوجد .

والموجود هو ما يصح عنه سؤال السائل هل يعدم إلى أن يجاب عنه بلا ونعم وقيل الموجود هو الكائن الثابت .

---

(١) أبى عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى ، عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى .

والمعدوم هو المنتق الذى ليس بكائن ولا ثابت .

القديم هو الموجود لم يزل .

المحدَث هو الكائن بعد أن لم يكن .

الأزلى الكائن لم يزل ولا يزال .

الجوهر هو المحتمل للأحوال والكيفيات المتضادات على مقدارها ، وعند المعتزلة المتكلمين أن الأجسام مؤلفة من أجزاء لا تتجزأ وهى الجواهر عندهم .

والخَط عندهم المجتمع من الجواهر طولا فقط .

والسطح ما اجتمع من الجواهر طولا وعرضا فقط .

والجسم عندهم المجتمع من الجواهر طولا وعرضا وعمقا .

والعَرَض أحوال الجوهر كالحركة فى المتحرك والبياض فى الأبيض والسواد فى الأسود . فأما هذه الأشياء على رأى الفلاسفة والمهندسين فعلى خلاف ما ذكرته فى هذا الباب . وسأذكرها فى أبوابها إن شاء الله عند ذكر أقاويلهم .

أيس هو خلاف ليس ،

قال الخليل بن أحمد ليس إنما هى لا فى أيس فأسقطوا الهمزة وجمعوا بين اللام والياء ، والدليل على ذلك قول العرب : ايتنى بكذا من حيث أيس وليس .

الذات نفس الشىء وجوهره .

الطفرة الوثوب فى ارتفاع ، تقول طَفَرت الشىء أطفِره طفْراً إذا وثبت فوقه ، والطفرة المرة الواحدة .

الرَّجْعَة[1] عند بعض الشيعة رجوع الإمام بعد موته ، وعند بعضهم بعد غيبته .

التحكيم قول الحرورية لا حكم إلا لله وهم المحكِّمة .

الفصل الثانى

فى ذكر أسامى أرباب الآراء والمذاهب من المسلمين

وهى سبعة مذاهب :

المذهب الأول : المعتزلة ويتسمون بأصحاب العدل والتوحيد وهم ست فرق[2]:

الأولى : الحَسَنية ، وهم المنتسبون على زعمهم إلى الحسن البصرى .

الثانية : الهُذَيليه[3] ، أصحاب أبى الهُذَيل العَلاّف .

الثالثة : النظّامية[4] ، أصحاب ابراهيم بن سيّار النظام .

الرابعة : المَعْمَرية[5] ، أصحاب مَعْمَر بن عبّاد السُلَمى .

الخامسة : البِشْرية[6] ، نسبوا إلى بشر بن المُعْتَمِر .

السادسة : الجاحظية[7] ، أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ .

المذهب الثانى : الخوارج وهم أربع عشرة فرقة[8] :

الأولى : الأزارقة[9] ، ينسبون إلى نافع بن الأزرق ،

الثانية : النَجَدَات[10] ، أصحاب نَجْدة بن عامر الحَنَفى .

الثالثة : العجاردة[11] ، نسبوا إلى عبد الكريم بن العجرد .

الرابعة : البِدْعيَّة ، رئيسهم يحيى بن أصرم ، سموا البدعيَّة

لأنهم أبدعوا قطع الشهادة على أنفسهم أنهم من أهل الجنة .

الخامسة : الحازمية[١٣] ، نسبوا إلى شعيب بن حازم .

السادسة : الثعالبة[١٣]

السابعة : الصُفْرية[١٤] ، أصحاب زياد بن الأصفر .

الثامنة : الإباضية[١٥] ، أصحاب عبد الله بن إباض .

التاسعة : الحَفْصية[١٦] ، أصحاب حفص بن (أبى) المِقْدام .

العاشرة : اليزيدية[١٧] ، أصحاب يزيد بن أبى أُنَيسة .

الحادية عشرة : البَيْهَسيَّة[١٨] ، نسبوا إلى أبى بَيْهَس الهَيْصم بن جابر .

الثانية عشرة : الفضلية[١٩] ، أصحاب الفضل بن عبد الله .

الثالثة عشرة : الشمراخية ، أصحاب عبد الله بن شِمراخ .

الرابعة عشرة: الضَحاكية[٢١] ، أصحاب الضحاك بن قيس الشارى .

المذهب الثالث : أصحاب الحديث[٢٢] وهم أربع فرق :

الأولى : المالكية ، أصحاب مالك بن أنس .

الثانية : الشافعية ، أصحاب محمد بن إدريس الشافعى .

الثالثة : الحنبلية ، أصحاب أحمد بن حنبل .

الرابعة : الداوُدية ، أصحاب داود بن على الإصفهانى .

المذهب الرابع : المجبرة[٢٣] وهم خمس فرق :

الأولى : الجَهْمية ، أصحاب جهم بن صفوان التِرمذى .

الثانية : البطيخية ، نسبوا إلى اسمعيل البطيخى .

الثالثة : النجارية[٢٤] ، نسبوا إلى الحسين بن محمد النجار .

الرابعة : الضرارية ، نسبو إلى ضرار بن عمرو .

الخامسة : الصبّاحيّة ، أصحاب صبّاح بن معمر .

المذهب الخامس : المُشَبهة[٢٥] وهم ثلاث عشرة فرقة :

الأولى : الكُلاّبية ، نسبوا إلى محمد بن كُلاب .

الثانية : الأشعرية ، أصحاب على بن اسمعيل الأشعرى .

الثالثة : الكرّامية ، نسبوا إلى محمد بن كَرّام السجستانى .

الرابعة : الهِشَامية[٢٦] ، أصحاب هشام بن الحكم .

الخامسة : الجواليقية ، أصحاب هشام بن عمر الجواليقى .

السادسة : المُقاتِلية ، أصحاب مقاتل بن سليمان .

السابعة : القضائية ، نسبوا إلى ذلك لزعمهم أن الله ، تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ، هو القضاء .

الثامنة : الحُبيّة ، سموا بذلك لزعمهم أنهم لايعبدون الله خوفا ولا طمعا وأنهم يعبدونه حباً .

التاسعة : البيانية ، أصحاب بيان بن سمعان .

العاشرة : المُغِيرِيّة ، نسبوا إلى المغيرة بن سعيد العِجلى .

الحادية عشرة : الزُرارية ، أصحاب زُرارة بن أعين بن أبى زرارة .

الثانية عشرة : المِنهاليه ، اصحاب المنهال بن ميمون العجلى .

الثالثة عشرة : المُبَيضَة ، أصحاب المقَنَّع هاشم بن الحكم المرزوى ، سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم مخالفة للمسوِّدة من أصحاب الدولة العباسية .

المذهب السادس : المرجئة (٢٧) وهم ست فرق :

الأولى : الغَيْلانية ، أصحاب غيلان بن خَرَشة الضَبى .

الثانية : الصالحية ، أصحاب صالح بن عبد الله ، المعروف بقُنَّة .

الثالثة : أصحاب الرأى ، وهم أصحاب أبى حنيفة النعمان بن ثابت البزّاز .

الرابعة : الشبيبية ، أصحاب محمد بن شبيب .

الخامسة : الشَمرية ، نسبوا إلى أبى شَمِر سالم بن شَمِر .

السادسة : الجَحْدرية ، أصحاب جَحْدر بن محمد التميمى .

المذهب السابع : الشيعة (٢٨) ، وهم خمس فرق :

الأولى : الزَيْدية ، وهم خمسة أصناف :

١ — الأَبْترية ، نسبوا إلى كُثَير النوبى ، واسمه المغيرة ابن سعد ، ولقبه الأبتر .

٢ — الجارودية ، نسبوا إلى أبى الجارود زياد بن أبى زياد .

٣ — الدُكَينيّة ، أصحاب الفضل بن دُكَين .

٤ — الخَشَبيّة ، ويعرفون بالصَرْخَابيّة ، نسبوا إلى صَرْخاب الطبرى ، وسموا الخشبية لأنهم خرجوا على

السلطان مع المختار ولم يكن معهم سلاح غير الخشب .

٥ ــ الخَلَفِيّة ، وهم أصحاب خلف بن عبد الصمد .

الثانية : الكَيْسَانية ، وكيسان كان مولى لعلى بن أبى طالب (عم) ، وهم أربعة أصناف :

١ ــ المُخْتَارِيّة ، أصحاب المختار بن أبى عُبَيْد قَبِل مقالته من كيسان .

٢ ــ الإسحاقيّة ، نسبوا إلى اسحق بن عمرو .

٣ ــ الكَرَبِيّة ، أصحاب أبى كَرِب الضرير .

٤ ــ الحَرْبية ، نسبوا إلى عبد الله بن عمر بن حرب .

الثالثة : العباسية ، ينسبون إلى آل العباس بن عبد المطلب (رضهم) وهم صنفان :

١ ــ الخَلَّاليّة ، أصحاب أبى سلمة الخلاّل .

٢ ــ الروانديّة ، أصحاب القاسم بن راوند .

الرابعة : الغالية ، وهم تسعة أصناف :

١ ــ الكامِلِيّة ، أصحاب أبى كامل .

٢ ــ السبائية ، أصحاب عبد الله بن سبأ .

٣ ــ المنصورية ، أصحاب أبى منصور العِجْلى .

٤ ــ الغُرابية ، سموا بذلك الاسم لأنهم يقولون علىَ عَلِيٍ (عم) كان أشبه بالنبى من الغراب بالغراب .

٥ ــ الطيّارية ، وهم أصحاب التناسخ ، نسبوا إلى جعفر الطيار .

٦ ــ البَزيعيّة ، نسبوا إلى بَزيع بن يونس .

٧ ــ اليَعْفورية ، نسبوا إلى محمد بن يَعْفور .

٨ ــ الغَمامِيّة ، سموا بذلك الاسم لزعمهم أن الله تعالى ينزل إلى الأرض فى غمام كل ربيع فيطوف الدنيا ، سبحان الله عما يقولون .

٩ ــ الإسماعيلية ، وهم الباطنية .

الخامسة : الإمامية ، وهم الرافضة ، سموا بذلك لرفضهم زيد بن على عليهما السلام ، فمنهم :

١ ــ الناؤوسية ، نسبوا إلى عبد الله بن ناؤوس .

٢ ــ المُفَضَّلِيَة ، نسبوا إلى المفضّل عمر ، ويسمون القَطَعيّة لأنهم قطعوا على وفاة موسى بن جعفر بن محمد .

٣ ــ الشَمْطيّة ، لأنهم نسبوا إلى يحيى بن أشْمَط .

٤ ــ الواقفية ، سموا بذلك لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر رضى الله عنه ، وقالوا هو السابع ، وأنه هو حيّ لم يمت حتى يملك شرق الأرض وغربها ؛ ويسمّون المَمْطورة وذلك أن واحدا منهم ناظر يونس بن عبد الرحمن وهو من القطعية فقال له يونس : لأنتم أهون علىّ من الكلاب الممطورة فلزمهم هذه النبزة .

٥ ــ الأحمدية ، نسبوا إلى إمامهم أحمد بن موسى بن جعفر .

نعوت الأئمة على مذهب الإثنى عشرية

على المُرتضى ، الحسن المجتَبَى ، الحسين سيد الشهداء ، على زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، موسى الكاظم ، على الرِضَى ، محمد الهادى ، على الصابر ، الحسن الطاهر ، محمد المهدى القائم المنتظر وأنه لم يمت ولا يموت بزعمهم حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهو محمد ابن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام أجمعين .

التعليقات

١ — والرجعة بالكسر وسكون الجيم ـ وفتح الراء أفصح ـ فى اللغة الإعادة . وشرعاً عبارة عن رد الزوجة وإعادتها إلى النكاح كما كانت بلا تجديد عقد فى العدة لا بعدها .

وعند المنجمين وأهل الهيئة عبارة عن حركة غير حركة الكواكب المتحيرة إلى خلاف توالى البروج وتسمى رجوعا و عكسا أيضا ، وذلك الكوكب يسمى راجعا .

وعند أهل الدعوة عبارة عن رجوع الوبال والنكال والملال على صاحب الأعمال بصدور فعل قبيح من الأفعال أو بتكلم قول سخيف من الأقوال .

[كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوى . المجلد ١ ، ص ٦٢٦ ، نشر أحمد جودت ، استنبول] .

* * *

٢ — المعتزلة فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، ينسبون إلى واصل ابن عطاء الغزالى الذى اعتزل عن مجلس الحسن البصرى . وذلك أنه دخل على الحسن رجل فقال يا إمام الدين ظهر فى زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة ، يعنى الخوارج ، وجماعة أخرى يرجئون أصحاب الكبائر ويقولون : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . فكيف تحكم لنا أن نعتقد ذلك ؟ فتفكر الحسن وقبل أن يجيب قال واصل : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا ، فأثبت المنزلة بين المنزلتين . وقال : إذا مات مرتكب الكبيرة بلا توبة خلّد فى النار إذ ليس فى الآخرة إلا فريقان ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، لكن يخفف عليه ويكون دركته فوق دركات الكفار .

فقال الحسن : قد اعتزل عنا واصل فلذلك سمي هو وأصحابه معتزلة .

ويُلقبون أيضا بالقَدَرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قُدرتهم وإنكارهم القدر فيها .

ولقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد لأنهم قالوا يجب على الله ماهو الأصلح لعباده ، ويجب أيضا ثواب المطيع فهو لا يخل بما هو واجب عليه أصلا ؛ وجعلوا هذا عدلا .

وقالوا أيضا بنفي الصفات الحقيقية القديمة القائمة بذاته احترازا عن إثبات قدماء متعددة وجعلوا هذا توحيدا .

وقالوا جميعا بأن القدم أخص وصف الله تعالى ، وبنفي الصفات الزائدة على الذات .

وبأن كلامه مخلوق محدث من الحروف والأصوات .

وبأنه لا يُرى فى الآخرة .

وبأن الحُسن والقبح عقليان .

وبأنه يجب عليه تعالى رعاية الحكمة والمصلحة فى أفعاله ، وثواب المطيع وعقاب العاصى .

[التهانوى ، مجلد ٢ ، ص ١٠٢٥ ، طبعة Asiatic Society of Bengal ، كلكته ١٨٦٢] .

ويذكر التهانوى أن المعتزلة بعد اتفاقهم على هذه الأمور افترقوا عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضا :

الواصلية ، العمروية ، الهذيلية ، النظامية ، الإسكافية ، الجعفرية ، البشرية ، المزدارية ، الهشامية ، الصالحية ، الحايطية ، الحدثية ، المعمرية ، الثمامية ، الخياطية ، الجاحظية ، الكعبية ، الجبائية ، البهشمية ، الأسوارية .

ويجعلهم أبو المعالى ، صاحب « بيان الأديان » سبع فرق :

الحسنية ، الهذيلية ، النظامية ، المعمرية ، البشرية ، الجاحظية ، الكعبية (أصحاب أبى القاسم الكعبى البلخى) .

[بيان الأديان — فارسى — ، لأبى المعالى (القرن ٥ هـ) نشر عباس إقبال ، طهران ، ص ٢٦ . الترجمة العربية ، يحيى الخشاب ، لم تنشر بعد] .

ويقول السيد مرتضى ، صاحب « تبصرة العوام » إن جماعة تجعلهم عشرين فرقة ، وأخرى تجعلهم سبع فرق .

ويذكر السيد مرتضى اعتقادات بعض هذه الفرق ، ومنها من كانت دعوتهم موافقة للمانوية كالحايطية (نسبة إلى أحمد حايط) والحدثية (نسبة إلى فضل الحدثى) ، ص ٥١ .

وهو يقرر أن فى زمانه (القرن ٧ هـ) لا يوجد من المعتزلة غير فرقتين : البهشمية وأبو الحسينية (نسبة إلى أبى الحسين البصرى من تلاميذ القاضى عبد الجبار الهمدانى) ، ص ٥٥ .

[تبصرة العوام فى معرفة مقالات الأنام — فارسى — (القرن ٧ هـ) نشر عباس إقبال ، طهران ، ص ٤٧] .

هـــذا و :

العمروية نسبة إلى عمرو بن عبيد .

الإسكافية نسبة إلى الإسكافى .

الجعفرية نسبة إلى جعفر بن مبشر .

المزدارية نسبة إلى أبى موسى مزدار .

الهشامية نسبة إلى هشام الفُوَطى .

الصالحية نسبة إلى صالحى .

الثمامية نسبة إلى ثمامة الأشرس .

الجبائية نسبة إلى أبى على الجبائى .
البهشمية نسبة إلى أبى هاشم .
الأسوارية نسبة إلى على الأسوارى .

* * *

٣ ــ الهذيلية ، طريقهم أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل . قالوا بفناء مقدورات الله تعالى ، وهذا قريب من مذهب جهم حيث ذهب إلى أن الجنة والنار تفنيان .

وقالوا : إن حركات أهل الجنة والنار ضرورية مخلوقة لله تعالى إذ لو كانت مخلوقة لهم لكانوا مكلفين ولا تكليف فى الآخرة .

وقالوا : إن أهل الخلدين تنقطع حركاتهم ويصيرون إلى جمود دائم وسكون ، فى ذلك السكون اللذات لأهل الجنة والآلام لأهل النار ، ولذلك تسمى المعتزلة أبا الهـــذيل جهمى الآخرة ، يعنى أنه قدَرِى الأولى جَهْمى الآخرة .

وقالوا : إن الله عالم بعلم هو ذاته ، وأنه قادر بقدرة هى ذاته .

وقالوا : بعض كلامه تعالى لا فى محل وهو كلمة كن ، وبعضه فى محل كالأمر والنهى والخبر والاستخبار ، وذلك لأن تكوين الأشياء بكلمة كن فلا يتصور لها محل .

وقالوا : إرادته تعالى غير المراد ، لأن إرادته عبارة عن خلقه لشىء وخلقه للشىء مغاير لذلك الشىء ، بل الخلق عندهم قول لا فى محل ، أعنى كلمة كن .

وقالوا : الحجة بالتواتر فيما غاب إلا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر .

وقالوا: لا تخلو الأرض عن أولياء الله تعالى، وهم معصومون لا يكذبون، ولا يرتكبون شيئا من المعاصى، فالحجة قولهم لا التواتر الذى هو كاشف عنه.

[التهانوى ، ج ٢ ، ص ١٥٣٢ — ١٥٣٣]

* * *

٤ ــ النظّامية، أصحاب ابراهيم بن سيار النظام، وهو من شياطين القدرية طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة .

قالوا : لا يقدر الله تعالى أن يفعل بعباده فى الدنيا مالا صلاح لهم فيه ولا يقدر أن يزيد فى الآخرة أو ينقص من ثواب وعقاب لأهل الجنة والنار .

وتوهموا : أن غاية تنزيهه عن الشرور والقبائح لا يكون إلا بسبب قدرته عليها .

فهم فى ذلك كمن هرب من المطر إلى الميزاب .

وقالوا : كونه تعالى مريداً لفعله أنه خالفه على وفق عليه . وكونه مريدا للعبد أنه أمر به .

وقالوا : الإنسان هو الروح والبدن آلتها .

وقالوا : الأعراض أجسام والجوهر مؤلف من الأعراض المجتمعة . والعلم مثل الجهل المركب . والإيمان مثل الكفر فى تمام الماهية .

وقالوا : خلق الله الخلق دفعة واحدة على ماهى الآن معادن ونباتا وحيونا وإنسانا وغير ذلك ، فلم يكن خلق آدم متقدما على خلق أولاده إلا أنه تعالى كمّن أى ستر بعض المخلوقات فى بعض ، والتقدم والتأخر فى الكمون والظهور .

وقالوا : نظم القرآن ليس بمعجز ، إنما المعجز إخباره بالغيب من الأمور الآتية والماضية . وصرف الله العرب عن الاهتمام بمعارضته حتى لو خلاهم لأمكنهم الإتيان بمثله بل بأفصح منه .

وقالوا : التواتر يحتمل الكذب ، وكل من الإجماع والقياس ليس بحجة .

ومالوا إلى الرفض ووجوب النص على الإمام ، وثبوت النص على إمامة علي ، لـكنه كتمه عمر .

وقالوا : من سرق دون نصاب الزكاة (مائتى درهم) كمائة وتسعة وتسعين درهما أو ظلم به على غيره بالغصب والتعدى لايفسق به .

[التهانوى ، ج ٢ ، ص ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، نقلا عن شرح المواقف] .

ويقول النظّام : كذب أبوهريرة أكثر مما كذب جميع الناس ، وشك عمر فى الإسلام يوم الحديبية ، وحين مات النبى (ﷺ) وضرب فاطمة على بطنها .

ويقول : إنشقاق القمر مستحيل ، ورؤية الجن مستحيل .

[تبصرة العوام ، سيد مرتضى ، ص ٤٩] .

* * *

٥ — المعمرية ، اتباع معمر بن عباد السُلَمى .

قالوا : الله لم يخلق غير الأجسام ، وأما الأعراض فيخترعها الأجسام إما طبعا كالنار للإحراق والشمس للحرارة ، وإما اختيارا كالحيوان للألوان .

قيل ومن العجيب أن حدوث الأجسام وفناءها عند معمر من الأعراض فكيف يقول إنها من فعل الأجسام .

وقالوا : لايوصف الله بالقدم لأنه يدل على التقادم الزمانى ، والله سبحانه ليس بزمانى ، ولا يعلم الله نفسه وإلا اتحد العالم والمعلوم .

والإنسان لا فعل له غير الإرادة مباشرة كانت أو توليدا ، بناء على ماذهبوا إليه من مذهب الفلاسفة .

[التهانوى ، ج ٢ ، ص ٩٦٣] .

ويذكر سيد مرتضى عن معمر :

إنه يقول إن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وجملة الكتب ليست

من كلام الله ؛ (لأنها عند المحمرية ليست قائمة بذات الله تعالى وليست فعله ، وكفر هذه الجماعة لا يخفى على العاقل) .

[تبصرة العوام ، ص ٥٢] .

* * *

٦ ــ البشرية ، أصحاب بشر بن المعتمر . كان من أفاضل علماء المعتزلة. وهو الذى أحدث القول بالتوليد ، قالوا الأعراض يجوز أن تحصل متولدة فى الجسم من فعل الغير كما إذا كان أسبابها من فعله .

وقالوا : القدرة والاستطاعة سلامة البنية والجوارح عن الآفات .

وقالوا : الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ، ولو عذبه لكان ظالما لكنه لا يستحسن أن يقال فى حقه ذلك بل يجب أن يقال ولو عذبه كان الطفل بالغاً عاقلا عاصيا مستحقا للعقاب (وفيه تناقض إذ حاصله أن الله تعالى يقدر على الظلم ولو ظلم لكان عادلا) .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ١٣٤] .

وجاء فى تبصرة العوام :

يقول بشر إن الإنسان قادر على إيجاد الألوان والسمع والبصر على سبيل التولد ، وكذلك الطعوم والرائحة كلما كان أسبابها من فعله .

[تبصرة ، ص ٥٠] .

* * *

٧ ــ الجاحظية :

قالوا : المعارف كلها ضرورية [ولا إرادة فى الشاهد أى فى الواحد منا ، إنما هى إرادته لفعله عدم السهو أى كونه عالما به غير ساه عنه ، وإرادته لفعل الغير هى ميل النفس إليه] .

وقالوا : إن الأجسام ذوات طبائع مختلفة لها آثار مخصوصة (كما هو مذهب الطبعيين من الفلاسفة) ويمتنع انعدام الجواهر ، إنما تبدل الأعراض والجواهر باقية على حالها كما قيل فى الهيولى .

والنار تجذب إلى نفسها أهلها لا أن الله يدخلهم فيها .
والخير والشر من فعل العبد .
والقرآن جسد ينقلب تارة رجلا وتارة امرأة .
[التهانوى ، ج ١ ص ٢٥٣] .

* * *

٨ — ويجعلهم أبو المعالى خمس عشرة فرقة ، فيذكر زيادة على هذه الفرق المذكورة فرقة الحرورية (وهم المحكِمة) .

[بيان الأديان ، ص ٢٣ و ٣٩ من الترجمة العربية] .

ويجعلهم سيد مرتضى خمس فرق فى الأصل : الأزارقة ، العجاردة النجدات ، الصفرية ، الإباضية .

والعجاردة خمس فرق :

الميمونية ويقولون بجواز نكاح بنت الابن وبنت البنت وبنت الأخ وبنت الأخت . ويقولون إن سورة يوسف ليست من القرآن لإنها فى موضوع العاشق والمعشوق وهذا المعنى لا يليق بكلام الله .

والحمزية ويقولون أن من لا يعرف الله بأسمائه كلها جاهل بالله ومن جهل الله فهو كافر .

والأصلتية ويقولون أن لا ولاية ولا عداوة ولا براءة من أولاد المسلمين أو أولاد المشركين . إنما يدعون للإسلام عند البلوغ فإذا أقروا به لزمت ولايتهم وإذا أنكروا وجبت عداوتهم والبراءة منهم وقتلهم .

والشيبية ويقولون بصحة إمامة المرأة متى استطاعت القيام بها وقدرت على حرب خصومها ، ويقولون إن غزالة أم شيبب إمام بعد وفاة ابنها .

والمكرمية ويقولون بكفر تارك الصلاة إذا جهل الله ، فإذا عرفه فلا يعدون إثمه كبيرة .

[تبصرة ، ص ٤٠ — ٤١] .

ويجعلهم التهانوى سبع فرق :

المحكمية ، البيهسية ، الأزرقية ، النجدات ، الأصفرية ، الأباضية ، العجاردة .

[التهانوى ، ج ١ ص ٤٤٨] .

* * *

٩ — الأزارقة :

قالوا : كفر علىّ بالتحكيم وابن ملجم محق فى قتله .

وكفروا الصحابة أى عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس وسائر المؤمنين معهم وقضوا بتخليدهم فى النار .

وكفروا القعدة عن القتال وإن كانوا موافقين لهم فى الدين .

وقالوا : بتحريم التقية فى القول والعمل .

وأجازوا قتل أولاد المخالفين ونسائهم ، وقالوا إن أطفال المشركين فى النار مع آبائهم .

وقالوا : لا رجم على الزانى المحصن ولا حد للقذف على النساء .

وقالوا : يجوز اتباع نبىّ كان كافراً ، وإن علم كفره بعد النبوة .

وقالوا : مرتكب الكبيرة كافر .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ٦٨١] .

* * *

١٠ — النجدات ، أصحاب نجدة بن عامر النخعى .

قالوا : لا حاجة للناس إلى الإمام ، بل الواجب عليهم النصفة فيما بينهم ويجوز لهم نصبة إذا أرادوا أن تلك الرعاية لا تتم إلا بإمام يحملهم عليها .

وافقهم الأزارقة فى تكفير علىّ والصحابة (رضى الله عنهم) . وخالفوهم فى الأحكام الباقية .

واختلفوا فى الجهالات فى الفروع ، فمنهم من قال بأنهم معذورون فى مثل تلك الجهالات وتسمى عاذرية ومنهم من لا يقول بذلك .

[التهانوى ، ج ٢ ص ١٣٨١] .

* * *

١١ — العجاردة ، أصحاب عبد الرحمن بن عجرد .

واققوا النجدات فيما ذهبوا إليه إلا أنهم زادوا عليهم وجوب البراءة عن الطفل حتى يدعى الإسلام بعد البلوغ ، ويجب دعاؤه إلى الإسلام إذا بلغ .

وقالوا : أطفال المشركين فى النار .

وافترقوا إلى عشر فرق :

الميمونية ، الحمزية ، الشعيبية ، الحازمية ، الأطرافية ، الخلفية ، المعمولية ، الصلتية ، الثعالبة ..

[التهانوى ، ج ٢ ، ص ٩٤٩] .

* * *

١٢ — الحازمية ، أصحاب حازم بن عاصم .

وافقوا الشعيبية .

ويحكى عنهم أنهم يتوقفون فى علىّ (كرم الله وجهه) ، ولا يصرحون بالبراءة عنه كما يصرحون بالبراءة عن غيره .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ٤٠٥] .

قالوا : الخير والشر جملة بقضاء الله وقدرة ، كالمجبرة .

[تبصرة العوام ، ص ٤٣] .

* * *

١٣ — الثعالبة ، أصحاب ثعلب بن عامر .

قالوا بولاية الأطفال صغارا كانوا أو كبارا حتى يظهر منهم إنكار

الحق بعد البلوغ . وقد نقل عنهم أن الأطفال لا حكم لهم بولاية أو عداوة إلى أن يدركوا .

ويرون أخذ الزكاة من العبيد إذا استغنوا وإعطاءها لهم إذا افتقروا .

تفرقوا إلى أربع فرق :

الأخنسية ، المعبدية ، الشيبانية ، المكرمية .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ١٨٩] .

* * *

١٤ — الصُفْرية [الأصفرية] ، أصحاب زياد بن الأصفر .

قالوا : لا يكفر القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين لهم فى الدين .

ولا يكفر أطفال المشركين ، ولا يسقط الرجم ، ويجوز التقية فى القول دون العمل .

وقالوا : المعصية الموجبة للحد لا يسمى صاحبها إلا بها ، فيقال مثلا سارق أو زان أو قاذف ولا يقال كافر ، ومالا حد فيه لعظمته كترك الصلاة والصوم يقال لصاحبه كافر .

وقيل تزوج المؤمنة من دينهم من الكافر المخالف لهم فى دار التقية دون دار العلانية .

[التهانوى ، ج ، ص ٩١٢١] .

اسم رئيس هذه الفرقة بن الصفار ، ويقال سموا الصفرية لكثرة ما يبذلون من المجاهدة وقد اصفرت وجوههم فى العبادة .

وهم يوافقون الأزارقة فى جميع البدع إلا أنهم لا يجيزون قتل أولاد مخالفيهم .

[تبصرة ، ص ٤٠] .

* * *

١٥ ــ الأباضية ، ويقال الإباضية أيضاً، أصحاب عبدالله بن إباض التميمى.

قالوا : مخالفونا من أهل القبلة كفار غير مشركين تجوز منا كحتهم (ومواريثهم حلال) . وغنيمة أموالهم من سلاحهم وكراعهم حلال عند الحرب دون غيره . ودارهم دار الإسلام إلا معسكر سلطانهم . (وحرام قتلهم وسبيهم فى السرغيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة) .

وقالوا : تقبل شهادة مخالفيهم عليهم .

ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن لأن الأعمال داخلة فى الإيمان ، والاستطاعة قبل الفعل . وفعل العبد مخلوق الله تعالى . ويفنى العالم كله بفناء أهل التكليف . ومرتكب الكبيرة كافر نعمة لا كافر ملة .

وتوقفوا فى : تكفير أولاد الكفار ، وفى النفاق أهو شرك أم لا ، وفى جواز بعثة رسول بلا معجزة وتكليف أتباعه فيما يوحى إليه .

وكفروا علياً وأكثر الصحابة (رضى الله عنهم) .

وافترقوا فرقاً أربع :

الحفصية ، اليزيدية ، الحارثية ، العبادية .

والحارثية ، خالفوهم فى القدر أى كون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وكون الاستطاعة قبل الفعل .

والعبادية ، هم القائلون بطاعة لا يراد بها الله ،أى الزاعمون أن العبد إذا أتى بما أمر به ولم يقصد الله كان ذلك طاعة .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ٨٧ — ٨٨] .

وعبد الله بن إباض هو الذى خرج فى أيام مروان بن محمد [١٢٧/٧٤٤ — ٧٥٥] .

قالوا : دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى .

وحكى الكعبي عنهم أن الاستطاعة عرض من الأعراض وهى قبل الفعل بها يحصل الفعل .

وهم لا يسمون إمامهم أمير المؤمنين ولا أنفسهم مهاجرين .

وتوقفوا فى أطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام ، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلا .

وحكى الكعبي عنهم أنهم قالوا بطاعة لا يراد بها الله تعالى كما قال أبو الهذيل .

وقالوا : إن المنافقين فى عهد رسول الله (ﷺ) كانو موحدين إلا أنهم ارتكبوا الكبائر فكفروا فى الكبيرة لا بالشرك .

وقالوا : كل شيء أمر الله به فهو عام ليس بخاص ، وقد أمر به المؤمن والكافر وليس فى القرآن خصوص .

وقالوا : لا يخلق الله شيئاً إلا دليلا على وحدانيته ولابد أن يدل به واحداً .

وقال قوم منهم : يجوز أن يخلق الله تعالى رسولا بلا دليل ويكلف العباد بما يوحى إليه ، ولا يجب عليه إظهار المعجزة ولا يجب على الله تعالى ذلك إلى أن يظهر دليلا ويخلق معجزة .

[الملل والنحل ، الشهرستانى ، نشر عبد الرحمن خليفة ، ج ١ ، ص ١٤١ — ١٤٢] .

وقال الأباضية بأنه يجوز أن يأمر الله تعالى العبد أمرين متضادين ، ويمثلون لذلك برجل يدخل مزرعة غيره بغير إذن منه ، هو فى هذه الحالة مأمور بالخروج من وسط الزرع ومنهى أيضاً عن الخروج منه خشية فساد الزرع .

[تبصرة ، ص ٤٢] .

* * *

١٦ — الحفصية ، زادوا على الأباضية أن بين الإيمان والشرك معرفة

الله فإنها خصلة متوسطة بينهما ، فمن عرف الله وكفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار أو بارتكاب كبيرة (من الزنا والسرقة وشرب الخمر) فكافر لا مشرك .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ٨٧ — ٨٨ و ص ٣٣٨] .

[الشهرستانى ، ج ١ ، ص ١٤٢] .

ويجعلهم السيد مرتضى من العجاردة .

[تبصرة ، ص ٤١] .

* * *

١٧ — اليزيدية ، زادوا على الأباضية ،

وقالوا : سيُبعث نبي من العجم بكتاب يكتب فى السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى إلى ملة الصابئة المذكورة فى القرآن (وليست هى الصابئة الموجودة بحرّان وواسط) .

وقالوا : أصحاب الحدود مشركون ، وكل ذنب شرك ، صغيرة وكبيرة .

[التهانوى ، ج ١ ص ٨٨ و ص ٣٣٨] .

وقال يزيد بن أُنَيسة بتولى الحكَمة الأولى قبل الأزارقة ، وتبرأ ممن بعدهم إلا الأباضية فإنه يتولاهم .

وتولي يزيد من شهد للمصطفى (عليه السلام) من أهل الكتاب بالنبوة وإن لم يدخل فى دينه .

[الشهرستانى ، ج ١ ، ص ١٤٣] .

وهم القائلون بطاعة لا يراد بها الله ،

وتقول جماعة منهم أن ليس لله حجة على الخلق فى التوحيد إلا بالخبر أو بإشارة تقوم مقامه .

وجماعة منهم تقول إن كل من دخل فى الإسلام تجب عليه جملة الشرائع ولو لم يكن عالما بها .

ومنهم من قال بجواز بعث الرسل ولو لم تكن لهم معجزات .

ومنهم جماعة ذهبت إلى أن ليس من الواجب على المسلم الصلاة والحج وغيرهما من العبادات ولكن الواجب هو عين الطاعة فقط .

ويذهب جمهور اليزيديين إلى أن العالم يفنى بعد فناء الخلق ، لأن العالم مخلوق من أجلهم .

[تبصرة ، ص ٤١ — ٤٢]

ويذكر البدليسى ، وهو الذى ألف فى تاريخ الكرد ، أن بعض العشائر الكردية ، فى أنحاء الموصل والشام ، مثل الطاسنية والخالدية والبسيانية وبعض البختية والمحمودية والدنبلية يعتنق مذهب اليزيدية ، ويقولون بأنهم أتباع ومريدو الشيخ عدى بن المسافر ، وهم يعتقدون أن هذا الشيخ ، المدفون فى جبال لالش من أعمال الموصل ، قد أسقط عنهم الفروض وأنه يقوم بها نيابة عنهم [شرفنامه ، ج ١ ، ص ١٣ — ١٤ ، الترجمة العربية محمد على عونى ، القاهرة ١٩٥٨] .

ويذهب أحمد تيمور باشا إلى أن لا علاقة بين يزيدية اليوم وتلك الفرقة ، وأن أتباع بن أبى أنيسة قد لحقوا بغيرهم من الفرق التى بادت وبادت معها آراؤها . وأما يزيدية اليوم فنسبتهم إلى يزيد بن معاوية .

[اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، أحمد تيمور باشا ص ٢٨] .

وكان العثمانيون يعاملون اليزيديين على أنهم مسلمون أصحاب مذهب خاص ، فقد ولّى سليمان القانونى أحدهم ، حسين بك داسنى ، ولاية سهران سنة ٩٤١/١٥٣٤ . وقد كان من نتيجة ولاية اليزيدى على أهل السنة أن « أخذ اليزيديون ينتقمون لأنفسهم أشد الانتقام من أهل السنة فكانوا يظلمونهم ظلماً أنساهم جور الحجاج » .

[شرفنامه ، ج ١ ، ص ٢٧٤] .

ووقعت حرب عظيمة بين الصورانيين واليزيديين ، وهزم هؤلاء ، فاستدعى السلطان سليمان حسين بك داسنى إلى استنبول وأمر بقتله « ولعل ذلك مبدأ السخط على اليزيدية ، والفتوى من أبى السعود بقتلهم . . (بعد سنة ٩٥٢) » ،

[تاريخ العراق بين احتلالين ، عباس العزاوى ، ج ٤ ، ص ٤٣] .

ويذكر البدليسى والعزاوى ما كان من اضطهاد ولاة السنة لليزيدية ؛ وقد عاد بعض هؤلاء ، كالعشائر الدنبلية ، إلى مذهب أهل السنة والجماعة .

[شرفنامه ، ج ١ ، ص ٣٠٥] .

والأكراد يسمون غلاة المروانية منهم باليزيدية ويسمون غيرهم من سائر المسلمين بالحسينية ، ويُسمَى اليزيديون العدوية (نسبة إلى عدى بن المسافر).

[محمد على عونى ، حاشية ١ ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ، شرفنامه] .

فإلى من نسبة اليزيديين ؟

اختلف الكتاب فى هذه القضية ، وذهب فيها المستشرقون مذاهب شتى .

يذهب Menzel إلى ألا صلة بين اليزيدية ويزيد بن معاوية أو يزيد بن أنيسة ، وكذلك لا صلة لهم مع يزد المدينة الفارسية ، وإلى أنه يحتمل أن تكون لهم صلة بالكلمة الفارسية يزدان بمعنى الله . وعنده أن لدى اليزيديين الأوَل ملاكا اسمه إزدا وآخر اسمه يَزْدان كما أن كلمة يزدانى اطلقت على اليزيديين ؛ وهكذا قد نربط بين إزداى ، اسم سنجق (تمثال) على هيئة رجل مصنوع من العنب وبين اسمهم .

ويذهب Marr إلى أن چلبى هو الاسم الأول لليزيدية .

وعند Neibuhr ذكر چلبى على أنه « الشيطان » .

أما Guidi فيذهب إلى أن اليزيدية فرقة إسلامية ، متابعا فى هذا علماء المسلمين ، وأن صلة اسمهم بيزيد بن معاوية صلة لا شك فيها .

[دائرة المعارف الإسلامية Yazidi] .

ويذهب غلاة اليزيديين إلى أن يزيد لم يكن المؤسس الحقيق للمذهب. ولكنه هو الذى أعاده، أما الذى أنشأه فهو شاهد بن الجراح، الولد الوحيد لسيدنا آدم ، وأن يزيد ترك مذهبه وكرّس جهوده للمذهب الذى سمى باسمه . ثم إن « يزيد » أصبح عن طريق التناسخ الشيخ عدى بن المسافر الذى سوف تتكرر عودته إلى الأرض . [المصدر السابق] .

وأما علماء الترك ، وقد يتمثل رأيهم فى فتوى شيخ الإسلام « أبو السعود » فإنهم يقولون عن اليزيدية : إنهم اتباع يزيد بن معاوية وإنهم يبغضون الإمامين الحسن والحسين ، ويستحلون قتل أولادهم من أهل بيت النبوة ، ويبغضون الإمام على ، ويستهترون بكلام الله المجيد ، وبالكتب الشرعية والتفاسير والأحاديث ، وينكرون يوم القيامة والحشر والنشر ، وينكرون أركان الدين الخمسة ، ويعتقدون فى عدى بن المسافر الأموى. [صوفى مسلم قيل إنه ولد فى قرية بيت فار قرب بعلبك ، كوّن لنفسه فرقة دينية هى « العدوية » ، واختار لنفسه مقاما فى جبال حكّارى الكردية شمال الموصل ، وتوفى فى التسعين من عمره سنة ٥٥٧ / ١١٦٢ أو ٥٥٥ / ١١٦٠ . وقد خلفه أولاده فى مشيخة الفرقة] أنه الشريك الأغلب لحضرة رب العزة جلّ شأنه ، ولهم محبة تامة مع الشيطان اللعين ، فهم يعتقدون فيه أنه طاووس الملائكة ، ويأبون عن عقود أنكحتهم من أنفسهم وإنما يفوضون عقودهم إلى رأى رئيسهم الفاجر ، وهم بعد هذا يستحلون دماء مخالفيهم [نص الفتوى بالعربية عن تاريخ العراق بين احتلالين ، عباس العزاوى ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ وما بعدها] .

ويذكر أبو السعود أن الشافعى ، ضمنا ، قد لعن يزيد . ولعنه ولعن أتباعه أبو حنيفة والفخر الرازى والإمام أحمد والإمام أبو الليث

السمرقندى ومولانا عبد الرحمن الجامى والشريف الجرجانى والشيخ عبد القادر الجيلى . . .

وسارت الفتاوى الشرعية عند العثمانيين على هذا النهج ، ومن ذلك فتوى الشيخ على الرتبكى (١١٥٩ / ١٧٤٦) [تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم ، عباس العزاوى] .

وهذه الفتاوى الرسمية تعبر عن رأى سياسى أكثر منه دينى .

ويصف أحد كتاب الفرق ، محسن فانى ، وهو فارسى ، (القرن ١١ هـ) اليزيديين بأنهم يواظبون على الصلاة ، وأنهم أهل تقوى ، ولديهم تفاسير كثيرة ومؤلفات فى الدين والفقه . وهم يعتقدون فى نبوة النبى (ﷺ) وإمامة الشيخين وذى النورين وخال المؤمنين (أم حبيبة زوج النبى هى أخت معاوية) ، ولكنهم يطعنون على علىّ (عليه السلام) ، ويقولون إنه ادعى الألوهية كأتباعه من الغلاة وأنه دعاهم إلى ذلك ، وينسبون إليه سوء السلوك مع النبى (قصة نوى التمر) ، ويذهبون إلى أن الحسنين ليسا من نسل النبى ، وأن « يزيد » لم يقتل الحسين فى بيته إنما هو قصد الرحيل إلى العراق ابتغاء الاستيلاء على الملك فقُتل . ويخرج فرسانهم إلى الميدان فى العاشر من محرم ويطئون دمى من الطين تمثل قتلى كربلاء انتهاكا لحرمة هؤلاء الشهداء ، ويفرحون فى هذا اليوم أكثر مما يفرحون فى العيدين ، فهو عندهم يوم النصر لأن إمام الوقت يزيد ظفر فيه بعدوه وقتله . وعندهم جماعة يقال لهم « السيتافة » يقفون وسيوفهم بأيديهم ويلعنون « على » . . .

[دابستان المذاهب (فارسى) ، لمحسن فانى ، ص ٢١٦ — ٢١٨ طبعة بمباى ، وقد ذكر الترجمة العربية للنص عباس العزاوى فى كتابه تاريخ اليزيدية ٢٣ — ٢٧] .

ويرأس اليزيديين أمير من شيعتهم يسمونه « أمير الشيخان » — الشيخان تقع شمال شرقى الموصل — له سلطة مطلقة عليهم وتحت إمرته أمراء ثانويون

يبلغون أوامره إلى جميع النواحى . أما رئيسهم الدينى فيسمونه « بابا شيخ » وتحت يده جماعة من الشيوخ ينفذون أوامره فى شئون الدين . ولبابا شيخ حق التشريع فى الأمور الدينية كتحديد الصلاة والصوم . .

[العزاوى ، ص ٤٠] .

واليزيديون يتبعون الطريقة الصوفية التى ابتدعها عدى بن مسافر ، وهى تقوم على مقاطعة اللعن فعدى حذر من اللعن ، حتى لعن الشيطان ، خوفا من الاتصال بشائبة السب .

وتطورت هذه الطريقة من بعده فحرموا اللعن وما اشتق منه ، فالشيطان وإبليس ، ومادتهما تدل على الذم ، عـــبروا عنهما « بطاووس ملك » أو « طاووس الملائـكة » .

وهذا التعبير يرجع إلى حديث الطاووس مع إبليس . « فقد فرح إبليس حين سمع بإسكان الله آدم وحواء الجنة وقال: لأخرجنهما من ذلك الملـكوت . ثم مر مستخفيا فى طرق السموات حتى وقف على باب الجنة ، فإذا بالطاووس قد خرج منها وله جناحان إذا نشرهما غطى بهما سدرة المنتهى ، وله ذنب من الزمرد الأخضر ، وعلى كل ريشة منه جوهرة بيضاء لها ضوء كضوء الشمس ، ومنقاره من جوهرة بيضاء ، وعيناه من ياقوتة ، وهو أطيب طيور الجنة صوتاً وتغريدا ، وأحسنها ألحانا بالتسبيح ، وكان يخرج فى كل وقت ويمر فى صفح السموات السبع ويتبختر فى مشيته ، ويرجع فى تسبيحه إلى الجنة . فلما رآه إبليس دنامنه وكلمه بكلام لين .

قال إبليس : أيها الطير العجيب الخلق ، الحسن الألوان ، الطيب الصوت ، أى طائر أنت من طيور الجنة ؟

قال الطاووس : فما لك أيها الشخص كأنك مرعوب أو كأنك تخاف طالباً يطلبك ؟

قال إبليس : أنا ملك من ملائكة الصفح الأعلى من زمرة الكروبيين

الذين لايفترون عن التسبيح ساعة واحدة . أنظر إلى الجنة وما أعد الله فيها لأهلها ، فهل لك أن تدخلنى الجنة ولك على أن أعلمك ثلاث كلمات من قالهن لم يهرم ولم يسقم ولم يمت .

قال الطاووس : ما أحوجنى إلى هذه الكلمات غير أنى أخاف من رضوان أن يستخبرنى ، ولكنى أبعث إليك بالحية سيدة دواب أهل الجنة فإنها تدخلك الجنة » .

وأدى هذا إلى إخراج الطاووس والحيـــة من الجنة ، وقال جبريل للطاووس إنه مشؤوم أبدا . .

[القصة مأخوذة من قصص الأنبياء للكسائى ، وذلك عن النسخة الخطية التى يملكها عباس العزاوى ، لا عن النص المطبوع ، ونقلناها عن كتاب تاريخ اليزيدية ص ٦٣ وما بعدها] .

ثم غالوا إلى لزوم احترام طاووس ملك ، وكان من غلوهم قولهم إن عدم لعن يزيد منبعث عن اعتباره مقدساً بحيث صار هذا الغلو دينا لهم ، وصار الشيطان ويزيد يعدان فى المكانة العليا . وهم فى غلوهم هذا يضعون الشمع على لفظ الشيطان فى القرآن الكريم حتى يتجنبوا ذكر اسمه .

وبعض المتصوفة يذهبون إلى تبجيل إبليس . ويروى عن الحلاج إنه لما قيل لإبليس أسجد لآدم خاطب الحق بأن يرفع عنه هذا الأمر حتى لا يسجد لغيره قائلا : إن كنت أمرتنى فقد نهيتنى . فلما قال الحق إنى أعذبك عذاب الأبد قال : أولست ترانى فى عذابك ؟ إن رؤيتك لى تحملنى على رؤية العـــذاب ، إفعل بى ما شئت . . . [تاريخ اليزيدية ص ٥٣ وما بعدها] .

والشائع عند اليزيدية أن الله قد غضب على إبليس وألقاه فى جهنم وأنه قد تاب فرفع الله عنه مقته. ويقولون إن ملك طاووس ذرف مدامعه فى جهنم وهو يتوب إلى ربه سبعين سنة فملأ بهذه الدموع سبع جرار ، فلما انسكب

ماؤها أطفأ نار جهنم . وهناك قصص كثيرة عندهم عن « الخلاص » وكلها تدور حول دموع إبليس وإطفائها نار الجحيم .

وأدى هذا القول عندهم إلى أنهم لا يعتقدون فى العذاب يوم القيامة ، ويرون فى التناسخ تحقيق التطهر التدريجى من الذنوب . [دائرة المعارف الإسلامية ، مادة اليزيدية Menzel] .

ويتكون المجتمع اليزيدى من طبقات هى :

١ — مير أى الأمير ، ويشترط أن يكون من أبناء أخى عدى ابن مسافر (لم يكن لعدى ذرية) ، وأميرهم حتى سنة ١٩٣٥ (تاريخ تأليف تاريخ اليزيدية) سعيد بك . وأفراد هذه الأسرة لا يتزوجون . إلا بينهم أو من بيت يقطعون فى نسبته إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى .

ويقوم الأمير بأمور الدين كما يقوم بالأعمال المدنية ، ويخلفه الأرشد من أولاده .

٢ — يس مير ، أى قائم مقام الأمير ، ويسمى « الاختيار » . وهو يتفرغ عادة للأمور الدينية ويشغل هذا المنصب اليوم حمو شيرو .

٣ — پير ، أى الشيخ ، يقوم بالإرشاد الدينى وتعليم الأتباع (المريدين). وطبقة الشيوخ لا يتزوج أفرادها عن دونهم طبقة .

٤ — الكوچك، أى الصغير أو المسكين . وهم خدمة مزار الشيخ عدى. ويقوم الكوچك بخدمة سنجق طاووس الملائكة . وطبقة الكوچك تستأجر هذا السنجق من الأمير وتطوف به بين اليزيدية ويجمعون من هذا مالا يقدمونه للأمير . وفى الطواف يرقص الكوچك حول السنجق ، ويقيمون « الموالد » حيثما ينزلون بالسنجق وتسمى « چونى » .

وبين الحين والحين يظهر أحد الكوچك الكرامات نتيجة « للحلول والاتحاد » كما هو عند المتصوفة .

٥ — القوّالون ، وهم خدام وقراء المدائح بقبر الشيخ عدى .

٦ — المريدون ، وهم كافة اليزيديين .

٧ — الفقراء ،وهم الزهاد . ويتعيشون على صدقات اليزيدية .

٨ — الملاّئية ، وهم أفراد أسرة تنتسب إلى حسن البصرى ، يقومون بأمر الكتابة للمير، لأن الكتابة ،فى الأصل ، ممنوعة على اليزيدية ، كما أنهم يقرءون لهم الكتب المبجلة عندهم وهى الجلوة ومصحف رش (الكتاب الأسود) .

[اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، أحمد تيمور باشا ، حيث ذكر ملخص الكتابين ، ص ٢٤ وما بعدها]

وعدد اليزيديين يقرب من ثلاثين ألف .

وخلاصة القول فيهم انهم فرقة إسلامية كان لبداوة أهلها ، وبعدهم عن الحضارة ، وإهمال المسلمين لهم ، وانصراف من بيدهم التبصير فى أمور الدين إلى رميهم بالكفر ، كان لهذا كله أثر فى شدة انحرافهم عن الإسلام الصحيح . وهذا أيضا هو رأى العزاوى فيهم .

* * *

١٨ — البيهسية ، أصحاب بَيْهَس (يهش) بن الهيصم بن جابر .

قالوا : الإيمان هو الإقرار والعلم بالله وبما جاء به الرسول ، فمن وقع فيما لا يعرف أحلال أم حرام فهو كافر لوجوب الفحص عليه حتى يعلم الحق . وقيل لا يكفر حتى يرفع أمره إلى الإمام فيجده وكل ماليس فيه حد فهو مغفور . وقيل لا حرام إلا ما فى قوله تعالى : « قل لا أجد فى ما أوحِىَ إلىّ محرما على طاعم يطعمهُ إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس او فِسقاً أهِلّ لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فإن ربك غفور رحيم » [سورة ٦ آية ١٤٥] .

وقيل إذا كفر الإمام كفرت الرعية حاضرا أو غائبا ،

وقالوا : الأطفال كآبائهم إيمانا وكفرا .

وقيل السكر من شراب حلال لا يؤخذ صاحبه بما قال وفعل بخلاف السكر من شراب حرام .

وقيل : السكر مع الكبيرة كفر :

ووافقوا القَدَرية فى إسناد أفعال العباد إليهم .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ١٣٩]

يقولون بوجود دارين ، دار الكفر ودار الإيمان ، أى حيثما وجد اهل فرقتهم وليس بينهم أحد من مخالفيهم فهذه دار الإيمان .

[تبصرة ، ص ٤٢]

ومن البيهسية قوم يقال لهم العونية وهم فرقتان ، فرقة تقول من رجع إلى دار الهجرة إلى القعود برئنا منه ؛ وفرقة تقول بل نتولاهم لأنهم رجعوا إلى أمر كان حلالا لهم .

والعونيةيرون أنالإمام إذا كفر كفرت الرعية الغائبمنهموالشاهد .

ومن البيهسية أصحاب التفسير ، زعموا أن من شهد من المسلمين شهادة أخذ بتفسيرها وكيفيتها .

ومنها أصحاب السؤال ، قالوا إن الرجل يكون مسلماً إذا شهد الشهادتين وتبرأ وتولى وآمن بما جاء من عند الله جملة ، وإن لم يعلم فيسأل ما افترض الله عليه ، ولا يضره أن لا يعلم حتى يبتلى به فيسأل وإن واقع حراما لم يعلم تحريمه فقد كفر .

وأبو بيهس هو أحد بنى سعد بن ضبيعة ، وهو الذى طلبه الحجاج أيام الوليد فهرب إلى المدينه فطلبه بها عثمان المزنى فظفر به وحبسه ، وكان يسامره ، إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله .

[الملل والنحل ج ١ ، ص ١٣٣] .

١٩ — الفضلية ، أصحاب الفضل بن عبد الله .

كذا وردت فى بيان الأديان ، باب الخوارج (١٤) .

٢٠ — الشمراخيـة ، أصحاب عبد الله بن شِمْراخ .

فرقة من الخوارج ، يجوزون وطء النساء برضاهن بلا نكاح ، كذا فى تذكرة المذاهب .

وفى توضيح المذاهب تعد الشمراخية فرقة من فرق المتصوفة ، يسمون المطبلة ، يفرحون بصوت الطبل والغناء ، ويبيحون الزنا ، ويسيحون فى الأرض فى هيئة من الصلاح والتقوى ويفسدون فيها ، وقتلهم مباح .

[كذا بالفارسية فى التهانوى ج ١ ص ٨١٠] .

يقولون : دمهم حرام فى السر حلال فى العـــلن ، ودم مخالفيهم حلال بينهم ، وحرام فى دار التقية .

[تبصرة ، ص ٤٣] .

٢١ — الضحاكيـة ، أصحاب الضحاك بن قيس .

يقولون : بجواز بيع الجارية المسلمة للكافر .

ويبيحون زواج المسلمة من الكافر فى دار التقية ، ويحرمون ذلك فى دار من دور الخوارج .

[تبصرة ، ص ٤٢] .

٢٢ — يقول الشهرستانى :

أصحاب الحديث وهم أهل الحجاز هم أصحاب مالك بن أنس وأصحاب محمد بن إدريس الشافعى وأصحاب سفيان الثورى وأصحاب أحمد بن حنبل وأصحاب داود بن على بن محمد الإصفهانى .

وإنما سموا أصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل

الأخبار وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس الجلى والخفى ما وجدوا خبرا أو أثرا .

وقال الشافعى : « لو وجدتم لى مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبى فاعلموا أن مذهبى ذلك الخبر » .

[الملل والنحل ج ٢ ، ص ٣٨ — ٣٩] .

ويذهب البغدادى إلى أن :

أهل السنة والجماعة من فريقى الرأى والحديث يكونون فرقة واحدة . وفقهاء هذين الفريقين وقراؤهم ومحدثوهم كلهم متفقون على مقالة واحدة فى توحيد الصانع وصفاته وفى عدله وحكمته وأسمائه ، وفى أبواب النبوة والإمامة وفى سائر أصول الدين .

وإنما يختلفون فى الحلال والحرام من فروع الأحكام ليس فيما بينهم تضليل ولا تفسيق .

وهم الفرقة الناجية . ويجمعها الإقرار بتوحيد الصانع ، وقدمه ، وقدم صفاته ، وإجازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل ، مع الإقرار بكتب الله ورسله ، وإباحة ما أباحه القرآن ، وتحريم ما حرمه القرآن ، مع قبول ما صح من سنة الرسول ﷺ ، واعتقاد الحشر والنشر ، وسؤال الملكين فى القبر ، والإقرار بالحوض والميزان والصراط ، وخروج قوم من النار ، والإقرار بشفاعة المصطفى .

وقد دخل فى هذه الجملة جمهور الأمة من أصحاب مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد والثورى والأوزاعى وأهل الظاهر .

[مختصر كتاب الفَرق بين الفِرق للبغدادى ، واختصره عبد الرزاق ابن رزق الله الرسعنى ، مطبعة دار الهلال . مصر ، ١٩٢٤ . ص٢٨ ، ٢٩] .

وأصحاب الحديث خمس فرق :

الداودية ، أصحاب داود بن على الإصفهانى ، ويسمونهم أصحاب الظاهر لأنهم يعملون بظاهر الأخبار والآيات وينكرون القياس .

الشافعيـة ، أصحاب الإمام عبد الله بن محمد بن إدريس الشافعى المطلبى . ومذهبه فى أصول الدين والتوحيد ظاهر مما سبق . إلا أنه يختلف مع أصحاب الرأى فى الإيمان ، فإن للإيمان الصحيح فى مذهبه ثلاثة شروط :

الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان ، والعمل بالأركان .

فإذا كان هكذا فإنه يتزايد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وهو لا يقول بصحة الإجتهاد والقياس .

المالكية ، أصحاب مالك بن أنس بن مالك ، وهو إمام العراق وصاحب الموطأ . ويعتنق مذهبه أكثر المغاربة وسكان حدود اليمن . وهم يتعلقون بالحديث . وهم يأكلون لحم الحمير المستأنسة ...

الحنبليـة ، أصحاب الإمام أحمد بن حنبل . وبعضهم مشبه . وكان ابن حنبل شيخاً حين جاء الشافعى فخدمه وأمسك بعنان فرسه وقال : « اقتدوا ، هذا الشاب المهتدى » .

الأشعرية ، وهم أصحاب على بن موسى الأشعرى .

[بيان الأديان ، ص ٣١ ، طهران] :

وقد جاء فى الكتاب الفارسى (الشيعى) « تبصرة العوام » تفصيل عن المالكية رأينا تلخيصه هنا حتى يتبين المؤرخ قول شيعىٍ فيهم . يقول :

المالكية خمس فرق : ...

الأولى : خوارج ، وهم فى بلاد كثيرة بالمغرب ، مثل تاهرت العليا وتاهرت السفلى وفى رساتيقهما . وبعضهم فى بلاد إفريقية وفى مواضع أخرى . وخوارج تاهرت من أسوأ الخوارج . ومن أفعالهم أنهم يثبتون

بالمسمار نعل حصان فى بيوتهم ويتبركون به ويقولون إنه حين قتل الحسين (رضى الله عنه) وفصل رأسه عن جسده ساقوا الخيل على الجسد كى تدق عظامه، ولهذا يعظمون نعل الحصان ويضعونه فى بيوتهم حتى إذا مروا به فى دخولهم أو خروجهم، لمسوه بأيديهم ثم مسحوا بها وجوههم . وفى العاشر من محرم يضع أطفالهم رأس حمار ميت على عود ويدورون بها فى المدينة . ويصنعون الحلوى والقطايف فى بيوتهم ، فحين يمر بهم هؤلاء الأطفال يصيحون قائلين: سِتّى المَرؤُسة أطعِمِينا المُطَنْفَسة. ومعناها أحضرنا يا سيدتى رأس الحمار فاعطنا القطايف ، وحينئذ يعطى الأطفال القطائف أو الحلوى أو أى شىء أعد لهذا اليوم .

الثانية : معتزلة .

الثالثة : مشبهة . ومشبهة المغرب أشد تعصبا من سائر المشبهة . وهم يقولون إن أبا الحسن الأشعرى كان نصرانيـــا ، وقد أراد إفساد دين الرسول (ﷺ)، فجاء إلى المسلمين وأعلن إسلامه ، وأدخل عليهم بدعا كثيرة تفوق ما قال به النصارى . قالوا وكانت له أخت راهبة فذهب إليها ذات مرة فرفضت لقاءه فأخذ يتوسل حتى قبلت السماح له بمقابلتها . فلما لقيته لعنته لأنه ترك دين آبائه وأجداده ودخل فى دين محمد (ﷺ) ، فأجابها بأنه لم يترك دين آبائه وإنما كان قصده مما فعل إفساد دين محمد وإدخال بدع كثيرة فيه لا يستطيع الخلاص منها حتى يوم القيامة . فطابت أخته بهذا الحديث نفساً .

(يقول صاحب تبصرة العوام : «وقد سمعت هـذا من بعض مشيخة المغرب . والعهدة عليهم» . وهذا يقال عما روى فى الأولى .

الرابعة : السالمية ، ومنهم مالكية البصرة .

الخامسة : الأشعرية .

[تبصرة العوام ، ص ٩٦ ، ٩٧] .وحديثه عن الفرقتين الأولى والثالثة حديث خرافة .

٢٣ — المُجْسِرة أو الجَبْرية فرقة من كبار الفرق الإسلامية كالجهمية .

قالوا : لا قدرة للعبد أصلا ، لا مؤثرة ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها ..

والله لا يعلم الشيء ، وعلمه حادث لا في محل ، ولا يتصف الله بما يوصف به غيره كالعلم والحياة إذ يلزم منه التشبه .

والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها فيها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى .

ووافقوا المعتزلة فى نفى الرؤية ، وخلق الكلام ، وإيجاب المعرفة بالعقل قبل ورود الشرع .

وهؤلاء هم الجبرية الخالصة .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ٢٢٠] .

[التبصير فى الدين ، الإسفراييني ، نشر الكوثرى ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، حيث المذهب والرد عليه] .

٢٤ — النجارية و الضرارية .

جبرية متوسطة أى غير خالصة بل متوسطة بين الجبر والتفويض لأنهم يثبتون للعبد كسبا بلا تأثير فيه .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، ج ٢ ، ص ١٣٨٢ ، ١٣٨٣] .

[التبصير فى الدين ، ص ٦١ ، حيث الرد على النجارية وفرقهم الثلاث : البرغوثية والزعفرانية والمستدركة] .

٢٥ — المشبهة ، فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، شبهوا الله بالمخلوقات

ومثلوه بالحادثات ، ولأجل ذلك جعلناهم فرقة واحدة قائلة بالتشبيه وإن اختلفوا فى طريقه .

منهم مشبهة غلاة الشيعة كالسبأية والبيانية والمغيرية والهشامية وغيرهم القائلين بالتجسيم والحركة والانتقال والحلول فى الأجسام ونحو ذلك .

ومنهم مشبهة الحشَـوْية .

ومنهم مشبهة الكرامية .

[التهانوى ج ١ ، ص٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ثم ص٤٣٥ ، ٤٣٦ عن الحشوية] .

٢٦ — الهشاميـة ، تطلق على فرقة من غلاة الشيعة أصحاب الهشامين : ابن الحـكم وابن سالم الجواليقى ، قالوا : الله جسد ثم اختلفوا .

[التهانوى ، ج ٢ ص ١٥٣٦ ، ١٥٣٧] .

وذهب السيد مرتضى صاحب تبصرة العوام إلى أن ما نسب إلى هشام ابن الحـكم وهشام بن سالم هو من قول خصومهم وليس له أصل ، وأن القصد من ذكره تنفير العامة من فقهاء الإمامية .

[ص ١٧٢] .

والزُرارية ، فرقة من غلاة الشيعة ، قالوا بحدوث الصفات لله تعالى وقبل حدوثها له لا حيـــاة فلا يكون حينئذ حيا ولا عالمـا ولا قادراً ولا سميعاً ولا بصيراً .

[التهانوى ، ج ١ ص ٦٧٩] .

ويرد صاحب تبصرة العوام على أهل السنة الذين قالوا بأن الزرارية تقول بأن الله مصمت أى لا جوف الله . ومرجع قول أهل السنة فى هذا أن زرارة قال إنه سمع عن الصادق عليه السلام أن الصمد يكون مصمتا فلا يكون له جوف ، وهذا من المعانى اللغوية للفظ الصمد .

ويروىٰ عن ابن جنبل أنه قال الصمد من لا جوف له . وهذا هو قصد الصادق عليه السلام وليس قصده إثبات صفات البارى ...

[تبصرة ، ص ١٧٣ ، ١٧٤] .

والبيانيـة (وقد وردت خطأ البنانية فى التهانوى كما ورد اسم بيـــان ابن سمعان بنان) فرقة من غلاة الشيعة . قال بيان خذله الرحمن إن الله على صورة إنسان ويهلك كله إلا وجهه ... وروح الله حلت فى علىّ ثم فى ابنه محمد بن الحنفية ثم فى ابنه أبى هاشم ثم فى بيان .

[التهانوى ، ج ١ ص ١٦٩ ، نقلا عن شرح المواقف] .

وانظر رد السيد مرتضى عليهم بقوله لو كان بيان إلهاً فلماذا لم يدفع عن نفسه القتل حين قتله خالد بن عبد الله القسرى .

[تبصرة ، ص ١٧٠] .

وكذلك رد السيد مرتضى على المغيرية [ص ١٧٠] .

وهذا يبـيّن أن أحكام كتاب الفرق على بعض المذاهب صادرة عن هوى أو عن غير دقة فى تحرى حقيقة ما يقول به أصحاب المذهب .

٢٧ــ المرجئة ،

يذهب البغدادى إلى أنها ثلاثة أصناف .

(ا) صنف قالوا بالإرجاء فى الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية .

(ب) وصنف قالوا بالإرجاء فى الإيمـــان ومالوا إلى قول جهم فى الأعمال والاكتساب .

(ح) وصنف منهم خالصة فى الإرجاء من غير قدر ولا جبر .

وهم خمس فرق :

يونسيـة ، غسّانية ، ثوبانيـة ، وثومنية ، مريسيّة .

[مختصر الفرق بين الفرق ، ص ٢٧ ، ٢٨] .

أما أبو المعالى فيذكر ان المرجئة ست فرق :

الرزّامية ، الغيلانية ، التومنيه ، الصالحية ، الشِمرية ، الجهميـة .

[بيان الأديان ، فارسى ، سنى ، ص ، ٢٨[1]] .

أما السيد مرتضى فيقول إنهم خمس فرق :

اليونسية ، أصحاب يونس الشِمرى .

الغسّانية ، ينتسبون إلى غسّان رئيسهم ، وهم مرجئة الكوفة . منهم أبو حنيفة ، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن ، وجهم ، وغيلان ، وابن عمران ، وأبو شَمِر ، وفضل الرقاشى وغيرهم من أصحاب الرأى .

الثوبانية ، أصحاب أبى ثوبان .

التومنِية ، أصحاب أبى معاذ التومنِى .

المَرِيسيـة ، أصحاب المريسى .

ومنهم الصالحى وتنسب إليه الصالحيـة عند أبى المعالى والخوارزمى .

ومنهم أبو شَمِر المرجى ، وتنسب إليه الشمرية عند أبى المعالى .

ومنهم ابن شبيب ، وتنسب إليه الشبيبيـة عند الخوارزمى .

كما أن منهم الغَيْلانية .

[تبصرة ، ص ٥٩ — ٦١]

والمرجئة فرق من كبار الفرق الإسلامية ، لقبوا بذلك لأنهم يرجئون العمل عن النية أى يؤخرونه فى الرتبة عنها وعن الاعتقاد من أرجاه أى اخره ؛ أو لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر

(١) ذكرنا فى ص ١٧٨ صفحتى الترجمة العربية فى هذا الكتاب ، وهما من النص الفارسى ٢٧ ، ٤٤ ؛ وستنشر الترجمة العربية بمجلة كلية الآداب فى العدد القادم .

طاعة فهم يعطون الرجاء وعلى هذا ينبغى ألا يهمز لفظ المرجية .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ٥٧٨ ، ٥٧٩] .

ويقول التهانوى أنهم خمس فرق بذكر أربعة من الفرق التى سبقت وهى : اليونسية والغسانية والثوبانية والتومنية ثم يذكر فرقة خامسة هى العبيدية ويقول إنهم أصحاب عبيد المكذب ، زادوا على اليونسية من المرجئة أن علم الله لم يزل شيئاً غير ذاته وكذا باقى الصفات ، وأن الله تعالى على صورة الإنسان لما روى أن الله خلق آدم على صورته .

[التهانوى ، ج ٢ ، ص ٩٤٩] .

٢٨ — الشيعة :

ينقل ابن النديم عن محمد بن اسحق سبب هذه التسمية ، مرجعاً إياها إلى أنه لما خالف طلحة والزبير على علىّ رضى الله عنه فأبيا إلا الطلب بدم عثمان وقصدهما علىّ ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله تسمى من اتبعه على ذلك « الشيعة » . وكان علىّ يقول : شيعتى . وسماهم : الأصفياء ، الأولياء ، شرطة الخميس ، الأصحاب .

[الفرست ، ص ٢٤٩ ، طبعة التجارية ، القاهرة ١٣٤٨ — ١٩٢٩] .

ولكن « الشيعة » بوجه عام ، يذهبون إلى أن نشأة التشيع أقدم من هذا ، وان النبي (صلعم) هو الذى أنشأ التشيع وهو يؤدى رسالته «يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام ، جنباً إلى جنب وسواء بسواء ، ولم يزل غارسها (النبي) يتعاهدها بالسقى والعناية حتى نمت وأزهرت فى حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته » .

[الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، الطبعة الثالثة ص ٥٤ وما بعدها] .

ويذهبون إلى أن كلمة « خير البرية » فى قوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » [٩٨ / ٧] يقصد بها الشيعة . ويؤيدون هذا بأن النبي خاطب علياً بعد نزول هذه الآيه بما يفيد أنه وشيعته هم المقصودون بها . وتعددت الروايات فى هذا الصدد ، فمنها : ستقدم أنت وشيعتك يوم القيمة راضين مرضيين .

ومنها : ألم تسمع قوله تعالى « إن الذين آمنوا . . . » هم أنت وشيعتك ، وموعدى وموعدكم الحوض ، إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غراً محجلين.

والأحاديث المنسوبة إلى النبي ، فى هذا المجال ، يرويها علماء السنة ويحتج بها فقهاء الشيعة.

ثم إنهم يذهبون إلى أن النبي آثر علياً فى بعض المواقف فبعثه ليقرأ على الناس سورة براءة بدلا من أبى بكر ، ولم يؤمر عليه أحداً فى الغزوات والبعوث . ويقولون إن النبي قال إبان عودته من حجة الوداع عند غدير خم : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، ألا هل بلغت .

وهكذا يربط الشيعة مذهبهم بالنبي نفسه وبالفترة ذاتها التى قامت فيها الدعوة الإسلامية .

* * *

والواقع أن « التشيع » ظهر بشكل واضح بعد مقتل عثمان ، وانتشر بين المسلمين وخاصة فى البيئات الفارسية .

والواقع أيضاً أن حب علىّ وآل البيت (عليهم السلام) أمر يشترك فيه المسلمون جميعاً ، سنة وشيعة. إلاّ أن فكرة الإمامة وأحقية علىّ وبنيه بها هى التى ميزت الشيعة عن غيرهم . ولما كان التشيع قد ظهر بشكل أوضح فى البيئة الفارسية فيحسن أن نذكر شيئاً عن هذه البيئة لما كان لها من تأثير

فكرى فى المتشيعين ، وبما قرن فكرة التشيع بأفكار فارسية قديمة أساء ظهورها إلى « التشيع » بالمعنى الصحيح .

كان الفرس فى العهد الأكمينى أحراراً فى عبادتهم . فكان للملوك دينهم كان الملك حراً فى اتباع الدين الذى يرى ، ولم يكن يرغم أحداً على اتباع هذا الدين ، اللهم إلا الفئة المتصلة به والتى تتبع دين الحاكم أياً كان هذا الدين. وكان لقبيلة المجوس دينها الذى هو دين زردشت . وقبيلة المجوس هذه هى إحدى القبائل السبع الممتازة التى نزحت فى العصور القديمة من الأصقاع الباردة ونزلت فى بلاد إيران الدافئة . وكان أفراد هذه القبيلة يتمسكون بدين زردشت ويعملون على نشره فى سائر البلاد . وقد حافظت القبيلة على هذا الدين ، بعيداً عن التأثر بالعقائد الأخرى ، لأنها سكنت جبال آذربيجان فكانت شبه منعزلة عن أقاليم إيران الأخرى . وكان المجوس — المُغان — ينزحون إلى هذه الأقاليم ليبثوا بين الشعب الإيرانى عقيدتهم . أما الشعب فكانت له عقائده الخاصة ، وأكثرها قائم على الخرافات الشائعة فى كل بيئة .

ورويداً رويداً بدأ دين زردشت — دين قبيلة المجوس — ينتشر بين الشعب وعند الملوك . وحين غزا الإسكندر إيران (٣٣٠ ق م) عمل على تحطيم الروح المعنوى للفرس بإحراق كتابهم « الأوستا » بعد أن هزم جيش دارا الثالث ، فضعف شأن رجال الدين الزردشتى وعاد التحلل الدينى إلى الظهور وصحبه الفساد الخلقى الذى أدى إليه تملق الحاكم الوثنى الإغريقى . وفى أوائل القرن الثالث الميلادى (٢١٢م) قامت الدولة الساسانية على أساس توحيد إيران سياسياً وجعل دين زردشت ديناً رسمياً لها . وهكذا عادت إلى دين زردشت قوته .

[كتاب تنسر، ترجمة يحيى الخشاب، ص ٣٠ وما بعدها، مطبعة مصر، ١٩٥٤].

ولم يكد أول ملوك الساسانيين يموت حتى ظهر « مانى »، فأقنع ثانى الملوك بدينه فدخل فيه وتبعه كثيرون ، وهكذا كانت أول نكسة لدين زردشت فى

العصر الساسانى ، ومن بعد شاپور الأول تمسك ولده هرمز الأول بالمانوية. ولـكن ولده الثانى بهرام الأول عاد إلى ملة زردشت فقتل مانى . وحينئذ ظهرت الزندقة ، أطلقوها على أتباع مانى لأنهم اتبعوا مذهبه الذى بنى على تأويل ال « زندك » وهو تفسير « الأوستا » ، فنسبوا إلى زندك وقالوا زندكى (زنديق) .

وبعد قرنين ونصف قرن تقريباً ظهر مزدك (٤٩٨م — قبيل مولد النبي (صلعم) — . ومزدك مصلح دينى أراد أن ينصح الملك بمراعاة العدالة فى توزيع الأقوات بعد أن مس إيران قحط مروع . ولقيت توجيهاته رضاً من الملك قباد وسخطاً من الأشراف ورجال الدين الذين أذلهم الحرص على ما اقتنوا من الأموال ، والذين اتخذوا من الحكم وسيلة للإثراء . أما الشعب فقد رحب بآراء مزدك ، ففيها خلاصه من شر القحط ، وكانت نتيجة الصدام بين الملك الذى أراد تطبيق آراء مزدك وبين الأشراف ورجال الدين الذين أسخطتهم تلك المبادىء أن هرب الملك إلى بلاد الهياطـــلة يستعين ملـكهم ، وأن ثار الشعب فأفلت الزمام من يد مزدك وعقلاء الدولة ، واندفع الشعب اندفاعاً لا تعقل فيه ونادى بالشيوعية فى الأموال وفى النساء ، وسادت الفوضى . وجاء كسرى أنو شروان — وكان النبي (صلعم) قد ولد — فقتل مزدك .

ولـكن مقتل مانى ثم مقتل مزدك واضطهاد من اتبع مذهبيهما لم يقض على المانوية والمزدكية . فإن القضاء على صاحب المذهب شىء وانقراض المذهب شىء آخر . وتشتت المانوية والمزدكية فى البلاد ليكونوا بعيدين عن الاضطهاد . ومنهم من خشى على حياته وعلى مصالحه فأخفى مذهبه المانوى أو المزدكى وأظهر أنه على دين زردشت . أو بعبارة أخرى أظهر الزردشتية وأبطن المانوية أو المزدكية . وشاع بين أتباع مانى ومزدك أن الرجلين لم يقتلا إنما رفعا إلى السماء ، وأن كلاً منهما سيعود إلى الأرض مرة أخرى ليملأها

عدلا بعد أن ملئت ظلماً . وظهر فى المذهبين رؤساء استغلوا سذاجة الإيرانيين وبثوا فيهم خرافات اتخذت مظهر الدين ، وظهرت لديهم أفكار الرجعة والحلول والتناسخ وغيرها.

وفى سنة ٣١/٦٥٢ تم الفتح العربى لبلاد الفرس ، ثم بدأ دخول الفرس فى الإسلام ، وكانوا بوجه عام يدينون بدين زردشت كدين للدولة ، وكان منهم من يظهر هذا الدين ويبطن المانوية أو المزدكية ، لأن الزردشتية دين الحاكم الذى بيده اضطهاد من ليس زردشتيا سواء فى نفسه أو فى مصالحه ، فلما أصبح الإسلام دين الحاكم أسلم بعضهم فى الظاهر وأبطنوا عقائدهم مجاراة للحاكم ومداراة ، وبعض الذين أسلموا إسلاماً صحيحاً لم ينسوا الخرافات التى شاعت بينهم فقرنوا هذه الخرافات بعقيدتهم الجديدة .

وهكذا ظهرت فئات تقول مثلا بأن لأبى مسلم الخراسانى حظاً من الإمامة وادعوا حلول روح الإله فيه ، وفئات أمها سنباد ، واسحق ، وأستادسيس ، والمقنع ، وبابك ، وكلها اتخذت من فكرة التشيع ستاراً لبث آرائها ومعتقداتها القديمة التى كانت تبطنها أيام الدولة الساسانية . وكلها أساءت إلى « التشيع » بالمعنى الصحيح وحسبت عليه .

وليس من الإنصاف أن ينسب ظهور هذه الفئات إلى الفرس على النحو الذى يذهب إليه ابن حزم [ج ٢ ، ص ٩١ من الفصل] ، إنما هو أثر البيئة عند من أبطنوا المانوية أو المزدكية وما خالطهما من خرافات — وهم قلة من الفرس — وليس لهذا صلة بما ذهب إليه ابن حزم .

* * *

وبعد علىّ انقسم شيعته إلى عدة فرق :

١ — الحسنية ، قالوا بإمامة الحسن وأولاده من بعده . ولكنهم تنازلوا عن حقهم قسراً للأمويين ، وبعد أن أديل من هؤلاء طالب

الحسنيون برد الحق إليهم ، واتخذوا من المدينة مقاما لهم . وقد تزعمهم ، أيام المنصور (١٣٦ — ١٥٨ هـ) أخوان هما :

محمد بن عبد الله بن الحسن ، النفس الزكية .

وابراهيم بن عبد الله بن الحسن .

وأقام الأول بالمدينة حيث التف حوله أهلها ، وأقام الثانى بالبصرة بعد أن طوّف كثيراً ، وخشى المنصور أمرهما فبعث عيسى بن موسى على رأس جيش كبير إلى المدينة . وتبودلت الرسائل بين النفس الزكية وعيسى . فعيسى يعير صاحبه بأن أجداده باعوا حقهم فى الخلافة للأمويين وبأن للعباسيين فضلا على بنى طالب فى الجاهلية حين كانوا فقراء . النفس الزكية يقول أنا ابن وصى الله ، وعيسى يقول أنا ابن عم رسول الله . ولم تجد المراسلات واستقر الرأى بين الحسنيين على القيام بالثورة فى يوم معين ، هذا فى المدينة وذاك بالبصرة . ولكنهما فشلا وقتلا .

٢ — جماعة قالوا بإمامة أبناء علىّ من غير فاطمة ، ومنهم الكيسانية والهشامية وغيرهما ، نادوا بإمامة محمد بن الحنفية ثم ولده أبى هاشم .

٣ — جماعة قالوا بإمامة أبناء على من فاطمة . وهذه الجماعة انقسمت إلى ثلاث فرق :

(ا) الزيدية ، وهم الذين قالوا بإمامة زيد بن على زين العابدين بن الحسين . ذلك لأن زيدا ثار لمقتل جده الحسين. ولكنه قتل وأحرق جثمانه .

(ب) جماعه قالوا بإمامة إسمعيل بن جعفر الصادق ثم ابنه محمد ، وهم الإسماعيلية .

(حـ) جماعة رأت أن الإمامة بعد زين العابدين لولده محمد الباقر ومن بعده جعفر الصادق ، صاحب المذهب الجعفرى ثم موسى بن جعفر الكاظم ، ثم على بن موسى الرضا ثم محمد التقى ثم علىّ النقى ثم الحسن الزكى ثم محمد بن

بن الحسن المهدى . وهذه هى جماعة الإمامية أو الإثنى عشرية أو الجعفرية أو الموسوية .

* * *

(ا) الزيدية :ومذهبهم أقرب مذاهب الشيعة إلى السنة . وفى الإمامة يقول بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، كما كان بالنسبة لأبى بكر وعمر من علىّ .

ونظرهم إلى الإمام معتدل ، فليست هناك إمامة بالنص ، بل يصلح لها كل قادر من أبناء على رضى الله عنه . والقدرة ليست قاصرة على العلم والزهد والسخاء ولكنها تمتد إلى الشجاعة والقتال فى سبيل الحق . وأكثرهم يرجع فى الأصول إلى الاعتزال وفى الفروع إلى مذهب أبى حنيفة .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ٦٧٨]

* * *

(٢) الإسماعيلية : هم الذين قالوا بإمامة اسمعيل بن جعفر الصادق . وهم من غلاة الشيعة ، ويسمون بالسبعية لزعمهم أن النطقاء بالشريعة (الرسل) سبعة ، وبين كل ناطقين سبعة أئمة ، ولابد فى كل عصر من سبعة بهم يهتدى ويقتدى . . .

[التهانوى ، ج ١ ، ص ٧٣٩ — ٧٤٠] .

ومن أقوى دولهم الدولة الفاطمية فى مصر . وقد وفد عليها دعاة كثيرون من مختلف البلاد ليأخذوا المذهب الاسمعيلى من أصله .

والدروز فرقة اسماعيلية فى الأصل ، هم أتباع الدرزى الذى فرّ من مصر بعد فتنة الحاكم بأمر الله .

ثم إنهم انقسموا بعد المستنصر لدين الله إلى فرقتين : النزارية والمستعلية . والأولى — النزارية — قامت فى شرق العالم الإسلامى وأظهر فرقتين فيها :

الناصرية أتباع ناصر خسرو الذى كان ممن وفدوا على مصر أيام المستنصر ولا يزال أتباعه فى پامير حتى اليوم . والصباحية أتباع حسن الصباح الذى أقام دويلة له فى آلموت وقضى عليها هولاكو فى القرن السابع الهجرى . والأغاخانية القائمة اليوم من الإسمعيلية النزارية .

والثانية — المستعلية — بقاياها ممثلة اليوم فى طائفة البهرة باليمن وپاكستان . وللإسمعيلية عامة نشاط ملحوظ فى نشر مذهبهم وخاصة فى جنوب إفريقية .

[ناصر خسرو (بالفرنسية) ليحيى الخشاب ، فصل الفكر الدينى، القاهرة ١٩٤٠] .

* * *

(٣) الإثنى عشرية (الإمامية ، الموسوية ، الجعفرية) :

وهم الذين قالوا بتسلسل الإمامة من علىّ عليه السلام إلى الإمام الثانى عشر محمد المهدى القائم المنتظر . وجعلوا الإمامة لموسى الكاظم بعد والده جعفر الصادق . واتبعوا فقه جعفر رضى الله عنه .

وهؤلاء هم أكبر طائفة فى المسلمين بعد طائفة السنة ، وهم جمهرة العراق وإيران وملايين من مسلمى الهند ومئات الألوف فى سوريا وأفغانستان .

ويرون أن حب علىّ شىء والاقتداء به والمتابعة له شىء آخر . وينظرون إلى الصحابة نظرة عادلة عاقلة . وينفون عنهم القول بأنهم خالفوا النبى (ﷺ) أو لم يأخذوا بإرشاده حين جعلوا الإمامة فى الشيخين وعثمان قبل علىّ (ع) فهؤلاء الصحابة هم خيرة من على وجه الأرض يومئذ . ولكن « لعل تلك الكلمات — كلمات النبى — لم يسمعها كلهم ، ومن سمع بعضها لم يلتفت إلى المقصود منها ، وصحابة النبى الكرام أسمى من أن تحلق إلى أوج مقامهم بغاث الأوهام » .

«أما موقف على من خلافة أبى بكر وعمر فإنه امتنع عن المبايعة أول الأمر ، قيل ستة أشهر ، وأن جماعة من عيون الصحابة كالزبير وعمـــار والمقداد قد تبعوه ؛ ولـكنه حين رأى أن تخلفه عن البيعة يوجب فتقا فى الإسلام لا يرتق ، وكسرا لا يجبر ، وأن هدفه هو تقوية الإسلام ، وتوسيع نطاقه ، وإقامة الحق ، وإماتة البـاطل ، ولم يكن هدفه الرغبـة فى الحكم أو الحرص على الغلبة ، لمـا رأى ذلك بايع وتعاون وأغضى عما يراه حقا له . ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذ مجال للظهور لأن الإسلام كان يجرى على مناهجه القويمة ، ولـكن حين شبت الحرب بين علىّ ومعاوية واستتب الأمر للأخير وقتل علىّ (ع) ، انتقل الأمر من الخلافة إلى الحـكومة المستبدة ، واضطهد العلويون ، شيعة علىّ ،واستشهدا لحسين ولقى العلويون طوال العهد الأموى ما حبب إليهم الزهد والتقوى فازداد عدد أنصارهم وانتشروا فى العالم الإسلامى . ولم يكن العهد العباسى أقل اضطهادا للعلويين مما زاد فى حب الناس إليهم والتعلق بهم .

[أصل الشيعة وأصولها ، ص ٥٨ ، ٥٩] .

* * *

والإسلام والإيمان عندهم مترادفان ، يطلقان على معنى أعم يعتمد على ثلاثة أركان هى : التوحيد ، والنبوة ، والمعاد . ويطلقان على معنى أخص يعتمد على تلك الأركان الثلاثة وركن رابع هو العمل بالدعائم التى بنى عليها الإسلام وهى خمس : الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد .

ثم إنهم أضافوا ركنا خامسا وهو الاعتقاد بالإمامة . فهى منصب إلهى كالنبوة . فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وبأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التى كان النبي يقوم بها ، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي ، وإنما يتلقى الأحكام منـــه مع تسديد إلهى . فالنبى مبلغ عن الله والإمام مبلغ عن النبي .

وعندهم أن من اعتقد بالإمامة على هذا النحو فهو مؤمن بالمعنى الأخص، وأما إذا اقتصر على تلك الأركان الأربعة فهو مسلم ومؤمن بالمعنى الأعم ، تترتب له جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته . وبعبارة أخرى إن عدم الاعتقاد بالإمامة لا يخرج المؤمن عن كونه مسلما . وإنما يظهر أثر التدين بالإمامة فى منازل القرب والكرامة يوم القيامة ، أما فى الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء .

[أصل الشيعة وأصولها ص ٧٣ ، ٧٤] .

ومن هذا يتبين أمران :

١ — أن الإمام لا يوحى إليه ، وليس لديه شىء من تنزيل أو تأويل يوحى إليه به [كما ذهب صاحب مقال صيانة القرآن من التحريف ، مجلة رسالة الإسلام ، العدد ٢ ، السنة ١٠ ، ص ١٨٩] .

٢ — أن عدم اعتقاد المسلم بالإمامة لا يخرجه عن الإسلام .

ويعتقد الإمامية أن الله لا يخلى الأرض من حجة على العباد ، من نبى أو وصى ظاهر مشهور أو غائب مستور .

وعندهم أن النبى (ﷺ) نص وأوصى إلى على ، وأوصى علىّ ولده الحسن ، وأوصى الحسن أخاه الحسين وهكذا إلى الإمام الثانى عشر .

* * *

ويخطىء الكتاب الذين ينسبون إلى الشيعة الإمامية القول بالتناسخ والاتحاد والحلول والتجسيم ، فهذه آراء الفئات الشيعية التى تأثرت بالآراء الفارسية القديمة وغيرها ، وهذه الفئات نسبت إلى الشيعة لأن أصحابها استتروا وراء حب آل البيت ، وهى على أية حال قد انقرضت ولم يبق منها أحد اليوم ، وما يروى عن بعض المسلمين اليوم من هذه الآراء هو من قبيل الخرافات التى تروج فى أوساط السذج ولكنها ليست من أصول العقيدة .

أما الرجعة فيقول صاحب، « أصل الشيعة وأصولها » : ليس التدين بالرجعة بلازم فى مذهب التشيع ولا إنكارها بضار وإن كانت ضرورية عندهم ، ولكن لا يناط التشيع بها وجودا وعدما ، وليست هى إلا كبعض أنباء الغيب وحوادث المستقبل وأشراط الساعة . مثل نزول عيسى من السماء ، وظهور الدجال ، وخروج السفيانى وأمثالها من القضايا الشائعة عند المسلمين وما هى من الإسلام فى شىء ، ليس إنكارها خروجا منه ، ولا الاعتراف بها بذاته دخولا فيه، وكذا حال الرجعةعند الشيعة [ص، ٤٤]

* * *

والعدل عند الإمامية من أصول العقائد وأركان الإيمان . ويراد به الاعتقاد بأن الله سبحانه لا يظلم أحداً ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم . وأدى هذا إلى القول بأن الإنسان حر مختار فى أفعاله . وملكة الاختيار وصفته كنفس وجوده من الله ، فهو خلق العبد وأوجده مختارا . فكلى صفة الاختيار من الله والاختيار الجزئى فى الوقائع الشخصية للعبد ومن العبد ، والله لم يجبره على فعل ولا ترك .

* * *

وباب الاجتهاد كان فى زمن النبى ﷺ مفتوحا ، بل كان أمراً ضروريا ، ثم لم يزل مفتوحا عند الإمامية إلى اليوم .

والإمامية لا تعمل بالقياس : إن الشريعة إذا قيست محق الدين .

ولا يعتبرون من السنة (الأحاديث النبوية) إلا ما صحّ لهم عن طريق أهل البيت عن جدهم يعنى ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ

* * *

ما عدا تلك الأمور فالإمامية وسائر المسلمين فيها سواء ، لا يختلفون إلا فى الفروع كاختلاف علماء الإمامية أو علماء السنة فيما بينهم من حيث الفهم والاستنباط .

[أصل الشيعة وأصولها ، ص ٩٤]